

بسم الله الرحمن الرحيم

الحلقة الأولى

أمن البلد الحرام ومكانه

أمن أم إسماعيل

هاجر أم إسماعيل (عليهما السلام) وقد كانت وحيدة مع ابنها إسماعيل عندما تركها إبراهيم عليه السلام . صحيح البخاري ، حيث جاء بها بها إبراهيم وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفي إبراهيم منطلقا فتبعته أم إسماعيل فقالت يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه إنس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها فقالت له الله الذي أمرك بهذا قال نعم قالت إذن لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الكلمات ورفع يديه فقال ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون .

ولقد وصف الله سبحانه وتعالى هذا البيت بقوله : (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا) الآية قال الشافعي رحمه الله المثابة في كلام العرب الموضع يثوب الناس إليه ويؤبون يعودون إليه بعد الذهاب عنه ، وقوله وأمنا أي موضع أمن .

أمن قريش

ولم يتقصر الأمن فيه على المسلمين ، بل حتى كفار قريش من قبل كانوا آمنين فيه ، فحينما اعتذر بعضهم عن الإيمان برسول الله (صلى الله عليه وسلم) قائلين : (إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) أي نخشى إن اتبعنا ما جئت به من الهدى وخالفنا من حولنا من أحياء العرب المشركين أن يقصدونا بالاذى والمحاربة ويتخطفونا اينما كنا قال الله تعالى مجيبا لهم (أو لم نمكن لهم حرما آمنا) يعني هذا الذي اعتذروا به كذب وباطل لأن الله تعالى

جعلهم في بلد أمين وحرم معظم آمن منذ وضع فكيف يكون هذا الحرم آمنا لهم في حال كفرهم وشركهم ولا يكون آمنا لهم وقد أسلموا وتابَعوا الحق.

دعاء إبراهيم

وبالآمن لهذا البلد دعاء إبراهيم (عليه السلام): (رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير). وقوله (رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) .

ولو تأملنا الحكمة من الأمن حيث أن إبراهيم عليه السلام قدم طلب الأمن على سائر المطالب المذكورة بعده لأنه إذا انتفى الأمن لم يفرغ الإنسان لشيء آخر من أمور الدين والدنيا.

المظاهر

ومن مظاهر الأمن أن الله سبحانه وتعالى يحميه من الجبابرة والمفسدين ، ففي صحيح البخاري عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم قالت قلت يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم قال يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم . وكذلك ما حصل لأبرهة وجنده عندما غزا مكة . ، ومن مظاهر الأمن أن الدجال لا يدخل مكة ولا المدينة .

ولا يقتصر أمن البلد على البشر فحسب بل يتعداهم إلى غيرهم ، كالشجر والصيد، صحيح البخاري عن بن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة إن هذا البلد حرمه الله لا يعصده شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها .

الجزاء

ولكن ترى ما جزاء من أدخل بهذا الأمن ، استمع إلى قوله تعالى : (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) عن بن عباس قوله ومن يرد فيه بإلحاد

بظلم نذقه من عذاب أليم يعني أن تستحل من الحرام ما حرم الله عليك من لسان أو قتل فتظلم
من لا يظلمك وتقتل من لا يقتلك فإذا فعل ذلك فقد وجب له عذاب أليم . وعن مجاهد ومن
يرد فيه بإلحاد بظلم قال يعمل فيه عملاً سيئاً .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحلقة الثانية : أثر الحج في وحدة الأمة وتضامنها

إن وحدة الأمة ونبذ الفرقة مطلب شرعي أمر الله سبحانه وتعالى عباده به ، حين قال : **(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)** . وكما أخبر الله سبحانه وتعالى عن الحج بقوله " وليشهدوا منافع لهم " فمنافعه لا تعد ولا تحصى ، ومن هذه المنافع أنه يجسد وحدة الأمة الإسلامية ، بصور شتى ، وأنموذج رائع للوحدة .

فمن صور وحدة الأمة وتضامنها ، هو وحدة الوجهة ، فالحجاج جميعاً على أجناسهم وأشكالهم وألوانهم ، كلهم متوجهون بحجهم إلى الله سبحانه وتعالى **(ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً)** فالحج لله لا أحد سواه ، فهذا مظهر من مظاهر وحدة الأمة .

وتتجلى الوحدة بوحدة الزمان فالحج للأمة الإسلامية كلها في وقت واحد **(الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج)** ، وليس لأحد أن يحرم بالحج في غير وقته ، وليس هناك على سبيل المثال ، وقت للأسويين ووقت للأفارقة أو الأوربيين . أو قل إن شئت ليس هناك وقت لحج البيض ووقت آخر لحج السود ، وفي هذا الجانب تتجلى الوحدة الزمنية في وقوفهم جميعاً في يوم واحد وهو يوم عرفة ، ولم يشاركهم في هذا اليوم فليس هو من الحجاج .

وكذلك وحدة المكان فالجميع يتوجه إلى مكة حيث بيت الله وبقية المشاعر ، ولا أحد يتوجه لا إلى الطائف ولا إلى المدينة لأداء فريضة الحج ، فالكُل يطوف ببيت واحد ، ويسعى في مكان واحد ، ويقف يوم عرفة في صعيد واحد ، إنها صورة رائعة لوحدة الأمة الإسلامية .

ووحدة الهدف فالجميع يؤدي هذه الشعيرة ابتغاء الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى سواء كانت الحجة فرضاً أو نفلاً عن نفسه أو عن غيره ، ويرجو مغفرة ذنوبه ، كما أخبر بذلك

الصادق المصدوق (صلى الله عليه وسلم) حين قال : "من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه " . رواه البخاري

وكذلك أيضاً وحدة العمل ، فليس كل يأتي بما شاء من العمل ، بل الحاج مطالب بأعمال محددة كالإحرام والطواف والسعي والوقوف والرمي ونحو ذلك ، وإن كان هناك عبادات أخرى يأتي بها الحاج من باب الاستزادة من النوافل ، لكن أعمال الحج الأساسية واحدة .

ووحدة القبلة (فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره) يقف الحاج أمام هذا البيت الشامخ ويتأمل أن المسلمين في جميع أنحاء المعمورة يشاركونه التوجه إلى هذه القبلة .

وحدة مصدر التلقي، فالمصدر الذي يتلقى منه الحاج شريعتهم هو كتاب الله وسنة رسله (صلى الله عليه وسلم) ، ففيهما جاءت كيفية الحج وبيان نسكه ، وقدوة المثلى في هذا النسك هو رسولهم محمد (صلى الله عليه وسلم) ، حيث قال عليه الصلاة والسلام : " لتأخذوا عني مناسككم " رواه مسلم .

فالحج له أثر عظيم في وحدة الأمة الإسلامية لو وعى المسلمون منافع الحج ومنها هذه المنفعة العظيمة ، فالأمة إذا توحدت وتكاتفت قويت واستعصت على أعدائها ، أما إذا اختلفت وتفرقت ضعفت وأصبحت لقمة سائغة للأعداء .

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً وغذا افترقن تكسرت آحاداً

بسم الله الرحمن الرحيم

الحلقة الثالثة : مظاهر التوحيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ما بعد أيها المشاهدون الكرام لو تأملنا لو تأملنا أعمال الحج على اختلاف أصنافها وأماكنها وأزمانها ، نجد أن التوحيد فيها ظاهراً جلياً ،

التلبية فيها إعلان للتوحيد ونفي الشرك

فمنذ أن يشرع الإنسان في نسكه يصرح بالتوحيد وينفي الشرك قائلاً : " لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك " .

فلا بد أن يستشعر الحاج هذه المقولة ويقيس عليها حاله ، فهذا الذي جاء من بلد بعيد ، وأنفق المال الكثير والجهد الكبير هل ينبغي أن يشرك مع الله غيره وهو يردد تلك التلبية ، هل يدعو مع الله غيره ، هل يذبح لغير الله ، هل يصرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله تعالى . والحاج الذي يردد تلك التلبية لا بد أن يستشعر ما يقول ، فلا بد أن يستشعر قول الله تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) . وقوله تعالى (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) . وكذلك قوله (صلى الله عليه وسلم) : " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً: قالوا بلى يا رسول الله، قال : الإشراف بالله الحديث " .

كما يستشعر أيضاً فضل التوحيد وما يكفره من الذنوب ، كما في صحيح البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني آت من ربي فأخبرني أو قال بشرني أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق .

الإخلاص في الحج

وعلى هذا فلا بد أن يحقق الحاج توحيدَه ويخلص حجه لله سبحانه وتعالى ، وهذا أمر في غاية الأهمية ، فمن الناس من يكون حجه رياءً وسمعة أو يكون لغرض دنيوي ، قيل لابن عمر : ما أكثر الحجاج ! قال : ما أقلهم .
وقال شريح : الحاج قليل والركبان كثير ، ما أكثر من يعمل الخير ، ولاكن ما أقل الذين يريدون وجهه .

أعمال الحج كلها توحيد

والحاج في كل أعماله وأقواله متوجهاً لله وحده لا شريك له ، فهو يطوف بالبيت العتيق مثلاً لله وحده لا شريك ، ثم تأمل ماذا يسن له أن يقرأ في ركعتي الطواف إنها سورتا الكافرون والإخلاص وهذا كله تحقيق للتوحيد وتذكير به . فهاتان السورتان تضمنت أنواع التوحيد كله ، بل إن كلمة واحدة من سورة الإخلاص تضمنت ذلك (قل هو الله أحد) أحد في ربوبيته ، أحد في أولوهيته أحد في أسمائه وصفاته .

والحاج أيضاً يعلن النوحيد ويؤكد في سعيه على الصفا والمروة حين حين يدعوا بالدعاء الوارد في هذا الموضع : " لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده " .

وعلى صعيد عرفات يظهر التوحيد أيضاً حينما يكثُر الواقف بعرفة من الدعاء المأثور : " لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير " .

وكذلك في كل نسك من أنساك الحج يردد التوحيد وينفي الشرك .

وحتى حين يفرغ الحاج من حجه ويعود إلى أهله ، فله أيضاً موقف من مواقف إعلان التوحيد في طريق عودته ، كما ورد ذلك عن النبي (صلى الله عليه وسلم) في صحيح البخاري أن النبي إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ثم يقول : " لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء

قدير آييون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ."

إن هذه المظاهر وغيرها في هذه العبادة الجليلة لتشعر الحاج بعظم التوحيد وأهميته ، ومن جانب آخر تشعر الحاج أيضاً بخطر الشرك وضرره ، فهو سبب الخلود الأبدي في النار ، وهو سبب الشقاء في الدنيا .

فلا بد للحاج من أن يتعلم هذه الدرس من حجه ، ويرجع وقد عزم على إخلاص العبادة لله وحده ، فلا يدعو إلا الله ، ولا يستعين إلا بالله ، ولا يستغيث إلا الله .

فلا شرك مع الله ، ولا خضوع لغير الله ، ولا يدعو الأموات من دون الله ولا يتبرك بقبر ولا شجر ولا حجر فهي جمادات لا تضر ولا تنفع ، فالضر والنفع يد الله سبحانه وتعالى وجعل للأشياء أسباباً ، فليتوجه العبد ففي جلب النفع ودفع الضرر لله وحده لا شريك ويفعل الأسباب المؤدية إلى المقصود .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .